آداب Adab
مجلة كلية الآداب جامعة الخرطوم
Journal of Faculty of Arts. University of Khartoum

ISSN 0302- 8844

مجلة علمية نصف سنوية محكمة. تصدر عن كلية الآداب – جامعة الخرطوم

العدد ٤٥. يوليو ٢٠٢١م

هيئة التحرير

رئيس التحرير
أ.د. حمد النيل محمد الحسن

مدير التحرير
أ.د. أزهري مصطفى صادق علي

أعضاء هيئة التحرير
أ.د. يحيى فضل طاهر
أ.د. فيروز عثمان صالح
د. سلمى عمر السيد
د. هالة صالح محمد نور

الهيئة الاستشارية

أ.د. فدوى عبد الرحمن على طه
أ.د. على عثمان محمد صالح
أ.د. جلال الدين الطيب
أ.د. رقية السيد بدر
أ.د. مبارك حسين نجم الدين
د. يونس الأمين
د. محاسن حاج الصافي
د. حسن على عيسى
د. تاج السر حران

توجه المراسلات باسم رئيس التحرير: كلية الآداب جامعة الخرطوم. ص. ب ٣٢١
أو ترسل على البريد الإلكتروني: adabsudan@gmail.com

المحتويات

القسم العربي

التناص، قراءة تطبيقية في بنية النص. "ديوان الهمداني نموذجاً". د. محمد مسعد سعيد سلامي....... ١

الأثر النَّفسيُّ والوجدانيُّ في منهج عبد القاهر الجرجانيّ. النَّقديِّ والبلاغيِّ. د. صدِّيق مصطفى الريَّح.. ٣٨

قصيدة سعدى بنت الشمردل الجهنية في رثاء أخيها أسعد. (دراسة تحليلية). د. مسفر بن محمد الأسمري.. ٦٥

البناء العارض للأسماء في الدّرس النّحويّ. أ. محمود سعيد خميس حسب الله ، د. زكي عثمان عبد المطلب عمر.. ٨٥

البنيةُ الإيقاعيّةُ وأثرُها في إذْكاءِ عاطفةِ الحُزْنِ لدى الشّاعر والمتلقّي مَرْثيّاتُ الهادي آدم نموذجا. د. علي عبد الله إبراهيم أحمد.. ١٠٥

مسألة تناوب حروف الجر. د. محيي الدين محمد جبريل محمد ١٦٠

المعتقدات السودانية في الشعر السوداني. أ.د. حمد النيل محمد الحسن إبراهيم.............................. ١٩٠

النيل والصحراء في ضوء نتائج أبحاث مشروع كدرمة الآثاري بإقليم الشلال الثالث. د. محمد البدري سليمان بشير.. ٢٠٧

دخول الإسلام بلاد السودان قبيل القرن السادس عشر الميلادي. د. عبدالرحمن ابراهيم سعيد علي. ٢٤١

جمعية ود مدني الأدبية ودورها السياسي والثقافي والاجتماعي في الحركة الوطنية السودانية. د. عمر عبد الله حميدة.. ٢٧٦

القسم الأجنبي

Radio as a Disseminator of Copyrighted Literary and Artistic Works a Descriptive Study of Radio Omdurman, Sudan. Amel Ibrahim Ahmed Abuzaid.. 307

The Healing Power of Personal Narrative. Amel Mohamed Saeed Bayoumi... 325

قواعد النشروشروطه

آداب مجلة علمية محكمة تصدر في يونيو وديسمبر من كل عام عن كلية الآداب جامعة الخرطوم وتقبل البحوث في مجالات الآداب والفنون والعلوم الإنسانية مع مراعاة الآتي:

١. ألا يكون البحث المقدم للمجلة قد نشر أو قدم للنشر في مكان آخر.

٢. تخضع البحوث المنشورة في هذه المجلة للتحكيم العلمي الذي يتولاه أساتذة مختصون وفق ضوابط موضوعية.

٣. تسلم نسختان مطبوعتان من البحث على معالج نصوص (حاسوب) مع أسطوانة مدمجة تحتوي على البحث. أو ترسل على البريد الإلكتروني adabsudan@gmail.com.

٤. يراعى في البحث أن يتراوح حجمه بين ٣٠٠٠-٥٠٠٠ كلمة، ويرفق الباحث مستخلصاً باللغتين العربية والإنجليزية لبحثه بما لا يتجاوز صفحة واحدة (٢٠٠) كلمة، ويذيل هذا المستخلص بما لا يزيد على خمس كلمات مفتاحية تبرز أهم المواضيع التي يتطرق إليها البحث. ويراعى أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على عنوان البحث واسم الباحث، والجامعة أو المؤسسة الاكاديمية وعنوان البريد والبريد الالكتروني.

٥. تنشر المجلة مراجعات الكتب بحدود (٢٠٠٠) كلمة كحد أقصى، على ألا يكون قد مضى على صدور الكتاب أكثر من عامين، ويدون في أعلى الصفحة عنوان الكتاب واسم المؤلف ومكان النشر وتاريخه وعدد الصفحات. وتتألف المراجعة من عرض وتحليل ونقد، وأن تتضمن المراجعة خلاصة مركزة لمحتويات الكتاب. مع مراعاة الاهتمام بمناقشة مصداقية مصادر المؤلف وصحة استنتاجاته.

٦. أن يوثق البحث علمياً بذكر المصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث في نهاية البحث. وترتب المراجع في نهاية البحث هجائياً على ألا تحتوي قائمة المراجع إلا على تلك التي تمت الإشارة إليها في متن البحث. يشار إلى جميع المصادر في متن البحث كالطريقة التالية (اسم العائلة. سنة النشر. الصفحة او الصفحات) مثال: (Adams. 2000. 14). وتوثق في قائمة المراج والمصادر كما يلي:
للكتب:
   - أحمد بدوي. **أسس النقد الأدبي عند العرب**، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٦٤م.

للمقالات:
   - قاسم المومني. علاقة النص بصاحبه دراسة في نقود عبد القاهر الجرجاني الشعرية، **عالم الفكر**، الكويت: العدد الثالث يناير/ مارس ١٩٩٧م. ١١٣-١٢٨.

٧. تعبر البحوث التي تنشرها المجلة عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة أو أية جهة أخرى يرتبط بها صاحب البحث.

٨. لهيئة التحرير الحق في إدخال التحرير والتعديل اللازمين على الأبحاث. وتعد هيئة التحرير رأي محكم المقال نافذاً بالنسبة لنشر البحث أو عدمه أو إدخال التعديلات التي يوصي بها المحكم.

المعتقدات السودانية في الشعر السوداني

أ.د. حمد النيل محمد الحسن إبراهيم

كلية الآداب بجامعة الخرطوم- السودان

المستلخص

تتشكل المعتقدات في أي مجتمع من المجتمعات وفق متغيرات عقدية وتاريخية وسياسية وفكرية واجتماعية وبيئية، ومن هنا هدف هذا البحث إلى الكشف عن دور هذه المتغيرات في تشكيل المعتقدات في السودان ومن ثم انعكاسها في الشعر السوداني، ومن هنا تمثلت مشكلة البحث في السؤال التالي: إلى أي مدى استطاع الشعراء السودانيون إبراز المعتقدات السودانية في شعرهم؟ فقد عني جماعة من الشعراء السودانيين بإبراز صور تلك المعتقدات السودانية المميزة لبلدهم عن بقية البلدان الأخرى، متأثرين في ذلك تأثراً واضحاً وقوياً بدعوة الناقد السوداني حمزة الملك طمبل في بدايات القرن العشرين، الذي دعا الشعراء السودانيين إلى الانعتاق من قيد التقليد للشعراء العرب السابقين والمعاصرين مما انعكس أثره سلبا على الشعر السوداني فكانت النتيجة غياب السمة المميزة للشعر السوداني.

من أهم النتائج التي توصل إليها الباحث أن الشعراء السودانيين في تصويرهم للمعتقدات السودانية في أشعارهم قد تاثروا تأثراً واضحاً بدعوة الناقد السوداني طمبل، لذا كانت الطابع الصوفي هو الغالب على تلك الصور، وذلك لغلبة التيار الصوفي على المجتمع السوداني، كما كان للمعتقدات السودانية المحلية قبل دخول الإسلام دور واضح في تشكيل تلك الصور رغم أنها لا تتوافق مع العقيدة الإسلامية، كذلك كان للمتغير الاجتماعي السوداني دوره الواضح في تشكيل صور تلك المعتقدات، لا سيما حب الطرب والإيقاع الموسيقي، ومن النتائج أيضاً أن تلك الصور قد جاءت أقرب إلى لوحات فلكلورية.

Abstract

In any community, beliefs are formed according to ideological, historical, political, intellectual, social and environmental changes. Hence, the research aims at unmasking the role of these changes in forming beliefs in the Sudan and, thereof, showing the way they are reflected in Sudanese poetry. Accordingly, the problem of the research consists inherently in the following question: to what extent could the Sudanese poets highlight Suda-

nese beliefs in their own poetry? In this context, a group of Sudanese poets have highlighted the images of those Sudanese beliefs which are distinguished from the beliefs of other countries. In this regard, the Sudanese poets are obviously strongly affected by the call of the late Sudanese critic, Hamza al-Malik Ṭambal (in early twentieth century), in which he called on the Sudanese poets to emancipate themselves from imitating the classic mode of old and contemporary Arab poetry. To Ṭambal, this style of the classic Arab verse has negatively impacted the Sudanese poem, the result of which is the lack of the distinctive character of the Sudanese poetry.

Of the most important outcomes concluded by the researcher is that the Sudanese poets, in their portrayal of the Sudanese beliefs in their poetries, have been flagrantly been affected by the call of the Sudanese critic, Ṭambal. Therefore, the Sufi idiosyncrasy has predominantly prevailed over these images as a result of the overriding Sufi current over the Sudanese community. Likewise, before penetration of Islam into the Sudan, the indigenous Sudanese beliefs had had a clear role in forming those images, notwithstanding the incompatibility of the images to the Islamic faith. Moreover, the Sudanese social variation had its own obvious role in forming the images of those beliefs, particularly predilection for rapture and music rhythm. Also, of the ensuing outcomes, those icons came to be as closely resembling folkloric pictures.

بروفيسور حمد النيل محمد الحسن إبراهيم

مدخل:

السودان بلد مترامي الأطراف متنوع الدينات، تعاقبت عليه عبر التاريخ كثير من الديانات التي اعتنقتها ممالكه القديمة، بداية بالوثنية ثم المسيحية ثم الإسلام، وقد كان للديانة اليهودية في تاريخه الحديث حضوراً وتمثيلاً محدوداً في خارطته الدينية، ولا تزال بعض هذه الديانات تعيش فيه متجاورة متصالحة إلى يومنا هذا.

بحسب عدد المعتنقين لكل ديانة في العصر الحاضر، تحتل الديانة الإسلامية المركز الأول بين الديانات الموجودة، فهي التي عليها غالبية سكان السودان، وتأتي الديانة المسيحية في المرتبة الثانية وقد تضاءل عدد معتنقيها بعد إنفصال جنوب السودان الذي كانت تمثل فيه الديانة المسيحية الديانة الأولى التي عليها الغالبية العظمى من أهل جنوب السودان، أما اليهودية فقد كان لها وجود بالسودان في عاصمته الخرطوم ومدينة أمدرمان وبعض مدن السودان الأخرى، ولكن نسبة للضغوط التي مارستها بعض الأنظمة السياسية السابقة التي حكمت السودان على معتنقي اليهودية فقد هاجروا من السودان إلى بقية القارات الأخرى، وقد كان جلهم من التجار الوافدين، وكانت لهم معابدهم ومقابرهم الخاصة بالخرطوم. علاوة على الديانات السماوية ما زال عدد من سكان السودان يعتنقون الوثنية على نطاق ضيق جداً في بعض بقاع السودان.

لم يدخل الإسلام بلاد السودان مدعوماً بالسلاح والجيوش الجرارة كحال كثير من البلاد التي فتحها المسلمون، بل تصدت مملكة المقرة المسيحية في شمال السودان للجيش الإسلامي الفاتح القادم من مصر في معركة بالقرب من مدينة دنقلا، انتهت بتوقيع اتفاقية بين الجيش الإسلامي والمسيحيين السودانيين تعرف في التاريخ باتفاقية البقط، وقد كان ذلك عام ٦٥١م. فقد كانت تلك الاتفاقية بداية لدخول الإسلام إلى السودان تدريجياً وسلميا، وقد كانت بدايات دخوله على أيدي التجار المسلمين من مصر الذين كانوا يسيرون قوافلهم للاتجار معهم أو عابرة إلى بلاد الحبشة، وقد نصت الاتفاقية على أن يحافظ المسيحيون السودانيون على المسجد الموجود بمدينة دنقلا، ويرجح أنه قد بناه من قبل التجار المسلمون العابرون إلى الحبشة، فكان أول مسجد في السودان، (https:ll ar.Wikipedia.org) ثم تتالت حملات الدعوة الإسلامية إلى السودان على أيدي التجار المسلمين وشيوخ الطرق الصوفية الذين أخذوا يتوافدون على السودان بعد قرون عدة من تلك الاتفاقية، ففي النصف الثاني من القرن الرابع عشر قدم الشيخ غلام الله بن عابد من اليمن إلى دنقلا ليعلم الناس شرائع الدين الإسلامي، وقد

وجدت تلك الحملات الدعوية قبولاً واسعاً لدى السودانيين، حتى قامت مملكة سنار (السلطنة الزرقاء) بوصفها أول مملكة إسلامية في السودان. (ود ضيف الله١٩٨٥م/٢) وقد كان لها دور كبير في نشر الإسلام وبقائه بالسودان.

تميز المعتقدات الدينية السودانية عن غيرها من معتقدات الشعوب الإسلامية:

بالرغم من أن الديانية التي عليها غالبية أهل السودان الآن هي الديانة الإسلامية، فإن اعتناقهم لهذه الديانة له ما يميزه عن اعتناق الشعوب الإسلامية الأخرى في بقية الأقطار، هذا التمييز أملته على السودان عدة أمور، منها الطريقة التي دخل بها الإسلام إلى بلاد السودان، ومنها أيضاً الإرث العقدي المحلي لأهل السودان السابق لدخول الإسلام، والذي ما زال بعضه باقياً في معتقدات كثير من الناس، ويمكن عد الديانية المسيحية من بقايا ذلك الإرث العقدي السابق للإسلام في السودان، ومنها أيضاً طبيعة المجتمع السوداني الذي تلاقحت فيه كثير من العناصر الإثنية بثقافاتها وعاداتها.

كل هذه المؤثرات على العقيدة في السودان جعلت الشعراء السودانيين يولون تصوير المعتقدات في السودان اهتماماً كبيراً لا سيما التي تميز بلدهم السودان عن غيره من البلدان في هذا الجانب، وذلك امتثالا لدعوة الناقد الأدبي حمزة الملك طمبل الذي دعا إخوانه الأدباء السودانيين أن يستمدوا أدوات شعرهم من البيئة والمجتمع السودانيين حتى تكون صورة السودان واضحة في أشعارهم. (طمبل ١٩٧٢م/٦٤) من هذا المنطلق عمد الشعراء السودانيون إلى تصوير الملامح السودانية المميزة للعقيد في السودان.

صور من المعتقدات السودانية:

أول تلك المظاهر المميزة في العقيدة السودانية مظهر التعايش السلمي بين الديانات المتعددة في السودان، وما هذا المظهر إلا انعكاس لما عليه حال الناس في المجتمع السوداني ومن ترابطهم القوي مسلمين ومسيحيين في ذلك المجتمع الذي يتشارك فيه المسلم والمسيحي في السكن والعمل والسوق والتعليم دون أي تمييز، فكل احتفال بمناسبة دينية سواء كانت إسلامية أم مسيحية يتشارك في إحيائه الجميع، ولعل هذا أثر من تأثير المعتقد الإسلامي الصوفي الذي عليه غالبية أهل السودان، فمنذ ظهور التصوف في الإسلام كانت سمته التسامح ومحبة الآخر

ولو كان يخالفك في دينه، وقد بلغوا في هذا شأواً بعيداً تمثل في إيمانهم بما يعرف بمذهب وحدة الأديان، فكل الأديان عند أصحاب هذا المعتقد سواء ولا فرق بينها لمعتقد في أي دين كان، كما يقول الشاعر العربي المتصوف ابن العربي:(ابن عربي ٢٠٠٥م/٦٢)

لَقَد صارَ قَلبي قابِلاً كُلَّ صورَةٍ   فَمَرعىً لِغِزلانٍ وَدَيرٌ لِرُهبانِ

وَبَيتٌ لِأَوثانٍ وَكَعبَــةُ طائِفٍ   وَأَلواحُ تَوراةٍ وَمُصحَفُ قُرآنِ

أَدينُ بِدَينِ الحُبِّ أَنّي تَوَجَّهَت   رَكائِبُهُ فَالحُـبُّ دَيني وَإيماني

وعلى ذات الدرب سار عدد من الشعراء السودانيين ممن آمن بمذهب وحدة الأديان فعبر عنه في شعره بوضوح، ولعل الشاعر التجاني يوسف بشير يعد أبرز أولئك الشعراء في هذا المجال، ومن ذلك ما أورده في قصيدته (كنائس ومساجد) يقول (بشير ١٩٩٩م/٥٧)

دَرَجَ الحُسنُ في مواكب ِعيسىَ مدرجَ الحُبِّ في مساجدِ أحمد،

ونمت مريم الجمــــال وديعاً،مشرقاً،كالصباح أحـوَرَ أغيدْ

ويقول في موضع أخر أيضاً: (بشير ١٩٩٩م/٥٨)

آمنتُ بالحُسْن ِبَـرْداً وبالصّــــبابة نـارا

وبالكنيسـة ِعـقْداً،منضّداً مِنْ عَــــذارى

وبالمَسيح ِومَنْ طافَ حَـوْلهُ واستــــجَارا

إيمانَ مَنْ يَعبُدَ الحُسـن ِفي عيـون ِالنّصَارَى

ويقول التجاني أيضاً معبراً عن عقيدته في وحدة الأديان في قصيدة (نفسي) زاعما أن له حبيبين من يهود وقبط تستظل بهما نفسه كلما عانت من قيود الحياة: (بشير ١٩٩٩م/١٣)

هيَ نفسيَ إشراقة مِن سماءِ اللهِ تحبو مع القرون ِوتبطي

موجة كالسماءِ تقلع من شطَ وترسي مِن الوجود ِبشطّ

خلصتْ للحياة من كل قيْد ٍومشتْ للزمانِ في غير شرْط ِ

كلما اهْتَاجَها الحنينُ استظلتْ بحبيبين ِمِنْ يهودٍ و قِبْطِ

ومن تلك الصور الشعرية التي تصور العقيدة السودانية الخالصة وليدة المجتمع السوداني صورة الشيخ الذي يعتقد فيه الناس الصلاح فيأتون إليه ليعالجهم ويشفي أمراضهم النفسية والجسدية على نحو ما هو معروف في السودان بـ(المحاية)، وهو أن يكتب الشيخ آيات من القرآن الكريم وتعويذات على لوح من الخشب بمداد مصنوع من مواد محلية قابلة للمحو والإزالة بالماء، ثم يغسل ما كتبه على اللوح بالماء في إناء ليتعاطاه المريض أو المسحور وفق جرعات يحددها له الشيخ، ومن تلك المشاهد المتصلة بالعقيدة في السودان أيضاً أن يجلس المريض بين يدي الشيخ كي ينفث على وجهه ورأسه رقية من القرآن الكريم، وقد صور كل ذلك الشاعر محمد المهدي المجذوب في أبياته في قصيدته (المسحور) حيث يقول:(المجذوب/١ ١٩٨٢م/١٠١)

عادَ شيخِي مُطَهِّرَاً فسقَانِي   مَا مَحَـا من مَعَاذَةٍ وطُقُوسِ

مُسْبلٌ طرفَهُ وينفُثُ في وجْهِي   فأُغْضِي على اصطبارٍ بَئِيسِ

ولعِي بالحياةِ دِيني وما شَأنِي   بيَــومٍ وَرَاءَ تلكَ الرُّمُوسِ؟!

فالمسحور هنا هو الشاعر نفسه، وهو الذي أصابته عين السحر من شخص له نظرات خالطها السحر، تسقم من تقع عليه، أو تتلف كل شيء جميل أو حسن تراه عينه، ولا علاج منها غير الرقية وهي ما أقره الإسلام نفسه، وربما يكون قد ذكرها عابراً بعض شعراء العربية، غير أن صورة الشيخ الراقي والمرقى له على نحو ما صورها هذا الشاعر السوداني بتفصيلها على هذا النحو الدقيق مما يكون قد انفرد به شعراء السودان دون غيرهم، كما يظهر الشاعر في هذه اللوحة تبرمه وتضجره من المحاية والرقية ومن شيخه الراقي؛ ربما لأنه لم يكن مقتنعا بذلك ولكنه أجبر عليه من قِبل أهله أو أي شخص له سلطة عليه.

ومن المشاهد ذات الصلة الوثيقة بالعقيدة الإسلامية في السودان ما صوَّره أيضاً الشاعر محمد المهدي المجذوب أيضاً في قصيدة (المولد)، ففي هذه القصيدة رسم الشاعر لوحات دقيقية لكيفية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في السودان، وبالتحديد في مدينة الخرطوم عاصمته، ومن تلك المشاهد مشهد حلقة الذكر على إيقاع الطبل السوداني المعروف في السودان بـ(النوبة) يقول: (المجذوب٢/ ١٩٦٩م/١١٠)

وهنا حلقةُ شيخٍ يَرْجَجِنُّ

يَضْرِبُ النوبةَ ضربًا فتَئِنُّ

وتُرَنُّ

ثمَّ تَرْفَضُّ هَدِيرًا أو تُجَنُّ

وحوالِيها طبولٌ صارخَاتٌ فى الغُبَارِ

كما أفلح المجذوب أيضاً في رسم صورة حقيقية صادقة للدرويش السوداني، تظهر زهده في الدنيا فهو يرى في الزهد غناه، فكل متاعه فيها جبته المرقعة برقع متباينة الألوان، وعصاه التي أمست رفيقة دربه في الحياة، وسبحته المصنوعة من اللالوب، وطاقيته ذات القرون، هذه الصورة التي تجدها ماثلة في أية حلقة ذكر صوفي في السودان، ولاتراها في غيره: (المجذوب٢/ ١٩٦٩م/١١٣)

زاهدٌ قدْ جعلَ الزُّهْدَ غِنىً

فلَهُ من رُقَعِ الجُبَّةِ ألوانا حديقة

والعَصَا فى غُربةِ الدُّنْيَا رَفِيقَهْ

وله مِنْ سُبْحَةِ اللالُوبِ عِقْدٌ

ومنَ الحِيرانِ جُنْدٌ

ولهُ طاقِيَةٌ ذاتُ قُرُونٍ

وكذلك مشهد الدرويش الذي وقف يهمهم بكلام مبهم، وهو ما يعرف في السودان بـ (الترجمة) ويزعم المتصوفة أنه من اللغة السريانية، وأنه له معان ودلالات لا يعرفها إلا من ألهمه الله ذلك العلم، يقول المجذوب: (المجذوب٢/ ١٩٦٩م/١١٣)

وانْحَنتْ حَلَقَتُهُ حينَ انْحَنَى

واستقَامَتْ وهَوَتْ والطَّبْلُ نارٌ تَتَضرَّمْ

وتَصَدَّى وَلَدُ الشَّيْخِ وترْجَمْ

حيثُ للقُطْبِ حُضُورٌ

وتداعَى وتَهَدَّمْ

من الصور العقدية المميزة في الشعر السوداني أيضاً صورة المبشر المسيحي الذي أتى من خارج السودان ليبشر بالمسيحية في جنوبه، وقد كان ذلك في عهد الاستعمار الإنجليزي للسودان، فقد كان جنوب السودان أرضاً خصبة لبذر بذور هذه الديانة فيها ولم يكن الهدف نشر الدين المسيحي فحسب، بل ربما لهدف خفي يرمي إليه المستعمر ليتحقق في المستقبل وهو إضعاف الرابط الديني بين شمال السودان وجنوبه تمهيداً لفصل جنوبه، كل ذلك قد صوره صلاح أحمد إبراهيم في قوله مصوراً قدوم المبشرين المسيحيين إلى جنوب السودان آنذاك: (إبراهيم د.ت/٤٥)

الأبيضُ الشِّريرُ جاءَ من جَدِيد

يتبعُ الرَّحَّالةَ الجاسُوس

قدْ غَيَّرَ من قميصِهِ الثُّعْبَان

الأبيضُ الشِّريرُ جاءَ من جَدِيد

مُلْهِمُ الجرائمِ الكُبْرى أتاك والمبَشِّرُ الأبيضِ

يبنيانِ بالقَشِّ كنيسةً صغيرةً في وسطِ القَرْيَة

في مُعَسْكرِ السُّخْرَةِ، في عقُولِ البُسَطَاءِ

في مجَاهلِ الأدْغَالِ جَاءاك في تحالفٍ مقدَّسٍ.

مما يتصل بالعقيدة أيضاً في المجتمع السوداني، اعتقاد أهل السودان في ما يعرف بـ (رمي الودع)، وهو يماثل قراءة الفنجان أو قراءة الكف والتنجيم من حيث الاعتقاد بمعرفة المستقبل والتنبؤ بما في رحم الغيب. فالودع خزفات سبع، تقبضهن في كفها صاحبة الودع التي تدعي معرفة الغيب بوساطة خزفاتها تلك، ثم ترمي بهن على الأرض ثم تنظر إليهن لتزعم أنهن قد أخبرنها بأخبار الغيب الذي تبح به، ومنه ما كان حدث في الماضي أو سيحدث في المستقبل، وقد يصدِّق الواقع ما تنبأت به في المستقبل، فهو لا يعدو أن يكون ضرباً من ضروب التنجيم الذي قال عنه النبي (صلى الله عليه وسلم): "كذب المنجمون ولو صدقوا"، فمشهد صاحبة الودع التي يتحلق حولها الناس في المجتمع السوداني وبخاصة في القرى والأرياف من المشاهد المألوفة، وقد صورها الشاعر حمزة الملك طمبل في أبياته التي يقول فيها: (طمبل ١٩٧٢م/١٧٢)

أرَتْ أمُّ عباسٍ أعْجُـتتوبة   تَضِلُّ كبيرَ الحِجَى بالوَدِعِ

وما أمُّ عباسٍ إلا عجـوزٌ   تَقِيٌّ بها نزعـــةٌ للورعْ

تُبشِّرُني وعَلَى وجهـــهِا   بريقُ السُّرورِ بحظي لمـعْ

وتحلفُ إنْ لم أنَلْ ما ترى   فليستْ تعودُ لحطِّ الوَدِعْ

تُجَادِلُ إن أنا جادلْتَـهـا   كمَنْ هو في فنِّه قد بَرَعْ

تلقَّتْهُ عن مَلَكٍ في المنامْ   فأيُّ ملاكٍ لهــذا شَـرَعْ

ثم يقول في ذات القصيدة:

فَقَدْ نبَّأتني بما لمْ يَدُرْ ببالي وها هو حقًّا وَقَعْ

فكثير من هذه المعاني التي أوردها الشاعر في هذه القصيدة عن الوَدِع وصاحبته قد لا يدركها على حقيقتها إلا من أتاحت له الحياة مشاهدة ومعايشة ذلك المشهد الذي ترى فيه القوم جالسين ومستسلمين أمام صاحبة الودع، ومنصتين إليها باهتمام، مصدقين لما تخبرهم به مما سيحدث لهم في مستقبل أيامهم أو ماضيها، فها هي أم عباس كما يسميها الشاعر (صاحبة الودع)، قد بدت على وجهها الأسارير التي تخبر قبل نطقها بما تود الإخبار عنه من أخبار سارة أو محزنة، وها هي تقسم على صدق ما تتنبأ به، زاعمة أنها (لن تعود لحط الودع) أي مزاولة حرفتها (رمي الودع) إذا لم يصدق ما تنبأت به، ولعل هذا هو القسم الشائع لدى صاحبات الودع في السودان، ولعله من الغريب أن يصدق القدر أحياناً تنبؤها كما حدث للشاعر نفسه؛ ما يجعل الناس ومنهم الشاعر في حيرة. فهذه المعاني التي ساقها الشاعر طمبل في هذه القصيدة ليكون لم يكن هدفه منها في المقام الأول سوى أن يبرز من خلالها مشهداً من المشاهد العقدية المألوفة في السودان، فلعلها كانت من أصدق المعاني في ديوانه وأنجحها في تحقيق دعوته النقدية المتمثلة في إبراز صورة واضحة للسودان.

وترد صورة الودع وصاحبته أيضاً مثلها في شعر الشاعر السوداني خليل عجب الدور، الذي وقف من صاحبة الودع موقفاً مغايراً لموقف طمبل، فقد وقف خليل ساخراً منها ومنكراً ادعاءها معرفة ما سيحدث في الغيب والإخبار به، إذ يقول مخاطباً ابن الوداعية في قصيدته التي صنّف فيها الرجال بحسب وظائف أمهاتهم: (عجب الدور ٢٠٠٢م/٢٠٩)

وأنْتَ ابنُ ودَّاعِيّةٍ مُسْتَـــــخِفّةٍ بأحلامِ قومٍ لم تكنْ بِنَوَاضِـجِ

رَمَتْ سَبْعَ حَبّاتٍ كَوَاذِبٍ فاقتادَتْ بهنّ جَهُولاتِ النِّسَاءِ السَّوَاذِجِ

تقولُ لسَلْمَى بِنْتُكِ الآنَ جـَاءَهَا خَطِيبٌ بهِ تَحْظَى بِكُلّ الحَوَائِجِ

فمثل هذه الصور والمشاهد التي تمثل مظاهر من مظاهر المعتقدات في المجتمع السوداني كثيرة عند الشعراء السودانيين، فقد عمدوا إلى إبرازها فقط ولم يكمن همهم غير تحقيق دعوة الناقد السوداني طمبل على نحو ما سبق شرحها، إذ لم يهتم الشعراء فيها بإبانة

رأي الشرع والدين والعقل إلا قليلاً كما في أبيات عجب الدور السابقة. وربما كا مذهبهم في ذلك كمذهب القاضي عبد العزيز الجرجاني في فصل الدين عن الشعر إذ يقول: "فلو كانت الديانة عارا على الشعر وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر لوجب أن يمحى اسم أبي نواس من الدواوين، ويحذف ذكره إذا عدت الطبقات، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية ومن تشهد الأمة عليه بالكفر ولوجب أن يكون كعب بن زهير وأضرابهما من تناول رسول الله وعاب من أصحابه، بكما خرساً وبِكاء مفحمين؛ ولكن الأمرين متباينان، والدين بمعزل عن الشعر (الآمدى ١٩٧٢/٦٢).

معتقدات من الأسطورة السودانية في الشعر السوداني:

تمثل الأسطورة جانبا مهماً من معتقدات الشعوب، لأنها في معظمها قصص خرافية تصدقها الشعوب وتعقدت فيها اعتقادا يمازج العقيدة الدينية في كثير من الأحيان، ومن هذا المنطلق فلقد كان للأسطورة السودانية حضوراً مميزاً في الشعر السوداني، فقد أولاها الشعراء السودانيون اهتماماً كبيراً وأفسحوا لها حيزاً واسعا في أشعارهم فلم تغب عن موضوعات قصائدهم، فكثيراً ما يتخذ الشاعر الأسطورة السودانية موضوعا لقصيدته مثلما فعل محمد محمد علي في قصيدته (تحت ظلال اللالوبة)، فقد كان موضوع القصيدة برمته مستمداً من إحدى الأساطير السودانية التي تحكيها الجدات لأحفادهن على نحو ما هو معروف في السودان، وقد جاءت رواية هذه القصة سرداً على لسان امرأة عجوز تقصها للشاعر عندما كان طفلاً صغيراً تحت شجرة اللالوبة، قال الشاعر مستهلاً السرد بقوله: (علي١٩٩٢م/ ٧٢)

إنْ أنسَ لا أنسَ أياماً لنا سلفَتْ   مهْمَا تلوَّنتِ الأحداثِ والحقَبِ

في ظل لالوبةٍ خضراءَ قد شمخَتْ   في بابِ كوخٍ خلا إلا من النَّكَدِ

كانتْ تُقِيمُ بِهِ شَمْطاءُ شَاحِبةٌ   كأنما حُرِّقَتْ من حُـرْقةِ الكَمَدِ

فهذه الأسطورة السودانية تحكي قصة الأمير الذي اختطفته الغول من القصر يوم الاحتفال بمولده؛ لتسكنه معها قاع البحر انتقاماً لأبيها الذي قتله الملك ظلماً من قبل. وكأن المغزى من هذه الأسطورة ضرورة إقامة العدل في الرعية، وأن من يفعل الشر لا يجزى إلا بمثله.

أما قصيدته (من أساطيرنا ابن السراري)، فهي غارقة في السودانوية من حيث أن موضوعها قائم على أسطورة سودانية أخرى معروفة ومتناقلة في السودان، فهي ذات صبغة سودانوية واضحة، ويكفي أن يكون مسرحها كما وصفه الشاعر: (علي١٩٩٢م/٥٢)

حيثما ولَّيْتَ وجْهَكَ

لم تجدْ غيرَ الجفافِ والشُّحُوبِ

والعُيونِ الغَائراتِ

والأكُفِّ اليابساتِ والعظامْ

عشرةُ أعوامْ

معْرُوقةٌ قد سُلِخَتْ مِن عُمْرِ أَهْلِنا

لم يبقَ مما يأكُلُ الأنامْ

سِوى العظامِ والجلودِ والحَطَبْ

وحِفْنَةٌ مِنْ ذُرةٍ أفضلُ من بيتٍ ذَهَبْ

...

هُنَاكَ بُرْمَةٌ كأنَّها القِنْدِيل

فقد وظف الشـــاعر محمد محمد علي هنا الأســطورة الســودانية ليعبر بها عن أهداف سامية كما في هذه القصيدة، فالمغزى من سرد هذه الأسطورة حث الناشئة على مكارم الأخلاق، فهي تعلمهم الإيثار، ورد الجميل، والشجاعة، والطموح، وروح المغامرة، وذلك أن ابن الســراري كان ابناً لملك مات مخلِّفاً هذا الطفل الصغير، وكانت له ســبع ســرار، ثم حلت المجاعة بمدينة الملك، ولم يكن لدى الســراري غير قليل من الطعام آثرن به الطفل، حتى نما وشـــب، وحمل

سيف أبيه، وذهب إلى سبعة أجبل مليئة بالقمح وصنوف من الطعام تحرسها الغول، وبشجاعته وقوته استطاع أن يقتل الغول، وبغصنه السحري استطاع أن يسوق الجبال السبعة إلى مدينته: (علي١٩٩٢م/٧٥)

وفي يده غصنٌ من الغُصُونِ الناطِقةْ

ساقَ به الجبالَ إلى مَدِينةِ النُّحاسْ

وكانَ مِنْ نَشِيدهِ

أن يضْربَ الجِبالَ ويقُولْ:

سِيري يا جِبالُ هِنديَّة

ود السَّبْعِ سَرَارِي سَاقَ جِبالَ هِنديَّةْ

وهي تسيرُ

وتقول: كَشُوْ كَشُوْ كَشَوْ.

فاتخاذ الأسطورة موضوعاً للقصائد لم يكن جديداً في الشعر العربي، ولكن ربما كان هدفاً لهؤلاء الشعراء السودانيين وعلى رأسهم هذا الشاعر صاحب هذه الأسطورة لما وجدوه فيه من لون مميز للمجتمع السوداني والثقافة السودانية، تلبية لدعوة الناقد طمبل، ويتجلى هذا الأمر في شعر التجاني يوسف بشير في مثل قوله: (بشير ١٩٩٩م/٤٢)

واعْصِرُوا قلبي المفزعِ بالحُسـ ـنِ أماناً وعوِّذُوه بنُوح

وهنا يقول الأستاذ فاروق الطيب كلمة (نوح) هنا لا تعني مجرد اسم نبي من أنبياء الله دعته إليه القافية فحسب، بل إن التجاني قد استوحاها القصص الديني المشوب بأساطيرنا الشعبية، فهو النبي الذي أدخل في سفينته من كل زوجين اثنين، ثم تنسج الأساطير السودانية عن وفاء كل شيء من تلك المخلوقات له، فالذي يذكر اسمه ليلاً لا تمسه الدواهي..." (البشير ١٩٦٢م/ ٢٦)

أما الشاعر خليل عجب الدور فله مجموعة من القصائد ذات الطابع السودانوي الأسطوري منها مقطوعته (أبو لمبة) وهو بحسب الزعم عفريت من الجن يبدو للناس من بعيد في الخلاء يحمل مصباحاً شديد الإنارة ليضل به السارين، ذكره وخصه بمقطوعة عنوانها (أبو لمبة) يقول فيها: (عجب الدور ٢٠٠٢م/٢٤٣)

هذا أبو لَمْبةٍ في الليلِ يظهرُ في   أرضِ المشَاريعِ بـ(المتنا) أو(الحوري)

عفريتُ جِنّ يُريكّ الضُوء منبعثاً   من حوله وهو خــافٍ غير منظورِ

مَنْ باتَ يتبعَـهُ في الليلِ يرمِ به   في مَهْمَهٍ مُوحِــش بالهمّ معْمُورِ

قد يأتي المثل السوداني من رحم الأسطورة السودانية أو القصص الشعبية السودانية، وهذا أيضاً مما حرص على توظيفه وإيراده أوالإشارة إليه الشعراء السودانويون، وذلك لأنه أوغل في السودانوية لما فيه من تضمين للمثل علاوة على الإشارة إلى الأسطورة أو القصة المتعلقة به، وقد حرص الشاعر محمد المهدي المجذوب في كثير من شعره على إبراز هذا الوجه الذي هو أميز في حمل ملامح الثقافية السودانية، كما في قصيدته **(عاش الزعيم)**. إذ يقول: (المجذوب١/١٩٨٢/٩٩)

صاحُوا:"يعيش" فصحتُ:"عاشَ الظلمُ في وطني الغبينْ"

....

حيّـــــا أبا الجُعْـــــــرَانِ إعجــابي له خُلُقٌ مَتِينْ

يتزوَّج القَمْـــــراءَ ضاحـــــــكةً ولكنْ بعد حِينْ

وأراهُ يجتــــــرِفُ المزابلَ بالشِّـــــمالِ وباليمــينْ

وأراه أجـــــدرَ بالقيــــادةِ من زعيــــمِ العاطلينْ

فأبو الجعران ضرب من الحشرات يعيش على القاذورات، وهو حشرة سوداء معروفة في السودان ويعرف في العربية بـ (الجُعَل) ففي هذه الأبيات إشارة وتضمين للمثل السوداني **(أبو الجعران خطب القمره)**، فالقمره في الدارجة السودانية تعني القمر، ويضرب هذا المثل للشخص الوضيع يتطلع إلى المكان الرفيع، أو الشيء العظيم يطمع فيه حثالة البشر، وقد جاءت الأسطورة الشعبية السودانية تشرح هذا المثل ومفادها أن أبا الجعران أراد أن يتزوج القمره أي القمر (مؤنثة في العامية)، فاشترطت عليه ضرورة أن ينظف الأرض من كل الفضلات والقاذورات أولاً؛ حتى تليق بقدرها فتنزل إليه كي يتزوجها، ومنذ ذلك الحين شمّر أبو الجعران عن ساعديه وباشر عمله الذي ظل يدأب عليه إلى يوم الدين.

ويلاحظ أن الشاعر المجذوب كثيراً ما يمازج في شعره بين هذه الصور السودانية وإحساسه العاطفي، سواء كان استياء و نفوراً أو قبولاً ورضاً، وبخاصة إذا كان الموضوع الذي يعبر عنه في قصيدته قد أثار فيه العاطفة فبلغت مداها، بسبب الإحساس بظلم وقع على وطنه، كهذه الصورة التي يحس فيها القارئ باستياء الشاعر واضحاً في التماسه لها من الصور السودانية القذرة لتحمل عنه هذا الاستياء، فما وجد ضالته إلا في هذه الصورة القبيحة (أبو الجعران والقاذورات)، ليضرب به مثلاً يشبه فيه من يتطلع للزعامة في وطنه وهو غير أهل لها بأبي الجعران ويشبه الزعامة بالقمر.

الخاتمة:

لقد عني الباحث في هذا البحث بإبراز المعتقدات الدينية والأسطورية والاجتماعية وعناية الشعراء السودانيين بإظهارها في صورهم الشعرية استجابة لدعوة الناقد السوداني حمزة الملك طمبل الذي دعا شعراء السودان إلى إبراز الوجه الحقيقي لوطنهم ومجتمعهم وبيئتهم في شعرهم حتى ينعتقوا من تقليد الشعراء العرب السابقين والمعاصرين لهم، مما أدي لغياب شخصية الشاعر السوداني، فكانت استجابتهم لهذه الدعوة متمثلة في كثير من الموضوعات والصور الشعرية في دواوينهم، ومن ضمنها صورة المعتقدات السودانية بمتغيراتها المختلفة.

توصل البحث إلى عدة نتائج في البحث من أهمها أن الشعراء السودانيين في تصويرهم للمعتقدات السودانية في أشعارهم قد تاثروا تأثراً واضحاً بدعوة الناقد السوداني طمبل، ونسبة لغلبة التيار الصوفي على المجتمع السوداني وتأثيره الواضح فيه؛ كان الطابع الصوفي هو الغالب

على تلك الصور، كما كان للمعتقدات السودانية المحلية قبل دخول الإسلام دور واضح في تشكيل تلك الصور أيضا بالرغم من أن بعضها لا يتوافق مع العقيدة الإسلامية، كذلك كان للمؤثر الاجتماعي السوداني المحلي المميز دوره الواضح في تشكيل صور المعتقدات في الشعر، لا سيما حب الطرب والإيقاع الموسيقي، ومن النتائج أيضاً أن تلك الصور الشعرية قد جاءت أقرب إلى لوحات فلكلورية، هذا بالإضافة إلى الأثر القوي للأسطورة السودانية في تشكيل تلك الصور الشعرية، فقد كانت حاضرة في كثير من مشاهد صور العقيدة في الشعر السوداني.

يوصي الباحث بأن يولي الباحثون والنقاد السودانيون مزيداً من الاهتمام بأدبهم السوداني، وإجراء مزيد من البحوث والدراسات حوله في مشروعات الماجستير والدكتوراه، وفي الدوريات والمؤتمرات المحلية والخارجية؛ من أجل التعريف به عالميا ومحلياً.

المصادروالمراجع

- الآمدي- الحسن بن بشر. **الوساطة بين المتنبي وخصومه**. دار إحياء الكتب العربية القاهرة ١٩٧٢م.
- إبراهيم. صلاح أحمد. **ديوان غضبة الهبباي**. دار الثقافة. بيروت. بدون تاريخ.
- بشير. التجاني يوسف. **ديوان إشر اقة**. دار البلد، الخرطوم، ١٩٩٩م.
- البشير. فاروق الطيب. وجماعة الأدب السوداني. **دراسات في شعر التجاني**. دار الطباعة الإفريقية.الخرطوم. الطبعة الأولى١٩٦٢م.
- طمبل. حمزة الملك طمبل. **الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه**. طبعة بيروت.١٩٧٢م.
- عجب الدور. خليل. **ديوا ن خواطر ومشاعر**. وزارة التربية والتعليم. القضارف. ٢٠٠٢م.
- ابن عربي. محي الدين بن علي. **ديوان ترجمان الأشواق**. دار المعرفة بيروت لبنان – ٢٠٠٥م.
- علي. محمد محمد علي. **ديوان ظلال شاردة**. مطبعة دار البلد – الخرطوم١٩٩٢م.
- المجذوب (١). محمد المهدي. **ديوان الشر افة والهجرة**. دار الجيل – بيروت – الطبعة الثانية ١٩٨٢م.
- المجذوب (٢) محمد المهدي. **ديوان نار المجاذيب**. مطبعة التمدن – الخرطوم الطبعة الأولى ١٩٦٩م.
- ود ضيف الله. محمد النور. **طبقات ود ضيف الله**. حققه وقدم له د. يوسف فضل. دار جامعة الخرطوم للنشر. الطبعة الثالثة. ١٩٨٥م.

موقع إلكتروني

- https:ll ar.Wikipedia.org